﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ [يونس: 31]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

في مناسبةِ هذه الآيةِ لما قبلَها وجهان:

الأوَّل: بعد أنْ بيّن الله فضائحَ عبدةِ الأوثان، ومعاينتَهم لما قدَّموه، وقراءةَ كتُبِهم، وأنَّه قد ضلَّ عنهم ما كانوا يفترون، أتبعَها بذكْرِ الدَّلائلِ على فسادِ مذهبهم، بما يوبِّخُهم ويَحُجُّهم، بما لا يمكن إلّا الاعترافُ به من حال رزقهم وحواسّهم، وإظهارِ القُدرة الباهرة في الموت والحياة، فبدأ بما فيه قَوامُ حياتهم، وهو الرِّزق الذي لا بُدّ منه[1]، وفي ذلك كلّه تهيئةُ نفوسهم للتَّوبة والإنابة إلى الله.

منَ الحشْرِ الذي سقطَ فيه الأباطيلُ إلى دلائلِ الواقعِ على فسادِ هذه الأباطيل

الثّاني: لمّا قدَّم سبحانَه أنّ شركاءَهم مربوبون مقهورون، لا قُدرةَ لهم إلّا على ما يُقدرهم الله عليه، وأنَّه وَحْدَه المولى الحقّ، وبانت بذلك فضائحُهم، أتبعَهُ بذكر الدّلائل على سوء معتقدِهم، بصيغة التَّبكيت والتَّقريع، بأنْ وجَّهَ السُّؤال إليهم عمّا هم مُعترفون بأنَّه مُختصٌّ به، ويدلُّ قطعًا على تَفَرُّدِه بجميع الأمر الموجبِ، مِن غير وَقفة لاعتقاد تَفرُّدِه بالإلهيَّة، فقال: ﴿قُلۡ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُدَبِّرُ﴾: أَصْلُ الكلمَةِ مِن الدُّبُر، وهو النَّظَرُ في عاقِبَةِ الأمرِ، وتَقْويمُه على ما يكون فيه صَلاحُ عاقِبَتِه، وأَدْبارُ الأمورِ: عَواقِبُها[3]،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/52.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 9/112.
(3) العسكريُّ، الفروق اللُّغوية، ص: 121، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (دبر).

يُقال: دَبَّرَ الأمرَ: إذا ساسَهُ ونَظَرَ في عاقِبَتِه، ليقَعَ على الوجْهِ الأكْمَلِ[1]، والتَّدَبُّرُ: التَّفكُّرُ، أي: تَحْصيلُ المَعْرِفَتَيْنِ لتَحْصيل مَعْرِفةٍ ثالِثَةٍ[2]. والمقصود مِنَ التَّدبير في الآية: الإيجادُ والعَمَلُ على وَفْقِ ما دُبِّرَ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إقـرار المشركين بتفرُّد الله تعالى بالخلق والرِّزق وبـتـدبـير الأمـر كلِّه

يأمُرُ اللّه نبيَّه محمَّدًا ﷺ أن يسألَ المُشركينَ: مَن الذي يرزُقُكم مِنَ السّماء والأرضِ؟ أم مَن يملِكُ السَّمع والأبصارَ؟ ومَن يُخرِجُ الشَّيء الحيَّ مِنَ الشَّيء الميِّتِ بقُدرته العظيمةِ، ويُخرِجُ الشَّيء الميِّتَ مِنَ الشَّيء الحيِّ؟ ومَن يُدبِّرُ أمرَ جَميعِ الخلائقِ، ويتصَرَّفُ في السَّماء والأرضِ بما شاء؟ فسيقولُ المُشرِكونَ: اللّه وَحدَه مَن يفعَلُ ذلك، فقُل لهم يا محمد ﷺ: أفلا تتَّقونَه، وتخافونَ عِقابَه؟![3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الفصل في الآية:

استئنافٌ بيانيّ يدلُّ على أنّ الله هـو مـسـتـحـقّ الولاية والإلهية

فُصِل قولُه تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عمّا قبلَه؛ لوقوعه استئنافًا بيانيًا؛ إذ إنَّه انتقالٌ مِن غرض إلى غرض في أفانين إبطال الشِّرك، وإثباتِ تَفَرُّدِ اللّه تعالى بالإلهيَّة، ويتنزَّل منزلَةَ الاستدلالِ لما قبلَه، وهو قولُه: ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾؛ لأنَّه بُرهان على أنّه المستحِقُّ للوَلايَة سبحانَه، فاحتجَّ على ذلك بمواهب الرِّزق الذي به قَوام الحياة، وبموهبة الحواسّ، وبنظام التَّناسُل والتَّوالُدِ الذي به بقاءُ الأنواع، وبتدبير نظام العالم، وتقديرِ المقدَّرات، فهذه كلُّها مواهبُ مِنَ اللّه، وهم كانوا يعلمون أنَّ جميع ما ذُكِر لا يفعلُه إلّا

(1) المعجم الوسيط: (دبر).
(2) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (دبر).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/176، وابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 3/118، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/335، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/266.

اللّه؛ إذ لم يكونوا ينسِبون إلى أصنامهم هذه الأمورَ، فلا جَرَم أن يكون المختصّ بها هو مُستَحِقُّ الوَلاية والإلهيَّة[1].

سر التعبير بالأمر ﴿قُلْ﴾، وإعادته في: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

(قُلْ) بين خطاب يُظهِرُ أهميَّةَ المقولِ، ومَقامَ الرَّسولِ الأمين، وأسلوبَ القرآن الحكيم

عبّر البيانُ الإلهيُّ بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾، وهو أسلوبٌ قرآنيٌّ وَرَدَ في كثيرٍ مِنَ الآياتِ في خطاب الحقِّ سبحانَه للخَلْق، وَرَدَ في كثيرٍ مِنَ الآيات، مثلِ قولِه سبحانَه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصّمد: 1]، ويختلف عن خطاب الخَلْق للخَلْق، إذ يكتفي ناقلُ الكلام بذكر منطوقِه دونَ التّعبير بكلمة (قل)؛ وذلك لأنّ مشيئة اللّه اقتضت أن يبلِّغنا رسولُه اللّه ﷺ القرآنَ كما نزل، والنّبيُّ ﷺ أمين في البلاغ عنِ اللّه تعالى، لا يترك كلمةً واحدةً مِنَ الوحي دونَ أن يبلِّغها للبشر، وما دام الحقُّ ﷻ هو الذي أمره، فهو يُبلِّغ ما أُمِرَ، وحتَّى لا يَجْرِمَ آذانَ خَلْقِ اللّه تعالى مِن كلِّ لفظٍ صدر عنِ اللّه سبحانَه[2].

وفي التّعبير كذلك بـ ﴿قُلْ﴾ وإعادته ﴿فَقُلْ﴾، إشارةٌ إلى أنَّ هذا الكلامَ هو مِن عند اللّه سبحانَه، وأنّ النّبيَّ ﷺ مُجَرَّدُ مُبلِّغٍ، ورسولٍ أمينٍ، لا يُغَيِّر ولا يُبَدِّل حرفًا مِن عنده، وإشارة إلى علو مقامِ الرِّسالة، ومقامِ النَّبيِّ ﷺ، وأنَّه هو الوحيدُ المكَلَّف بإبلاغهم وإنذارهم، لذلك جاء الأمر له بـ ﴿قُلْ﴾.

تكرار فعلِ القولِ أمارَةُ العنايةِ، وإعمامِ الخطاب

وفيه كذلك دلالةٌ على الاهتمام بالمقول، يقول ابن عاشور: "وأُعيدَ الأمرُ بالقول لزيادة الاهتمام بالمقول، فإنَّ أصل الأمرِ بالقول في مقام التَّصدِّي للتَّبليغ دالٌّ على الاهتمام، وإعادةَ ذلك الأمر زيادةٌ في الاهتمام"[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/155.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 10/5905.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/192.

ويَحْتَمِل أن يكون الأمرُ ﴿قُلْ﴾ خطابًا للجميع، فأُمِرَ كُلُّ واحدٍ بأن يقول ذلك[1]، بما يَدلُّ على أسلوبٍ حواريٍّ استدلاليٍّ في إقامة الحُجَّةِ.

بلاغة حَشْدِ الاستفهامات في الآية:

الاستدلالُ بطريق الاستفهام، والجوابُ في صورة الحِوار، أوقَعُ في نُفوسِ السّامِعين

تميَّز النَّظمُ القرآنيُّ في هذه الآية الكريمة في إقامة الحُجَجِ على المشركين؛ لإثبات التَّوحيد والبعث، وفسادِ مذهبهم، باستخدام أسلوبِ السُّؤال والجواب، إذ حشَدَ سِتَّةَ استفهاماتٍ؛ الخَمسُةُ الأوَلَى منها: للتَّقرير بأنَّ فاعلَ ما سألهم عنه مِن مواهبِ الرِّزق الذي به قَوامُ الحياة، وموهِبَةُ الحواسّ، ونظامُ التَّناسل والتَّوالد الذي به بقاءُ الأنواع، وتدبيرُ نظامِ العالم، وتقديرُ المقدَّراتِ في العالم العُلْوِيِّ، وفي العالم السُّفْلِيِّ، وفي عالَمَي الأرواحِ والأجساد، ممّا لا نهايَةَ له، فاعلُ ذلك كلِّه هو اللّه رَبُّ كلِّ شيء ومَليكُهُ؛ إذ لا جوابَ غيرُه، وهم لا يجهلونَه، فالاستفهام عنه لحملهم على الإقرار به[2]؛ إذ إنّ هذا الاستفهامَ هو استفهامٌ تقريريٌّ؛ للتَّنبيه على الحقائق الثّابتة وتقريرها، وتوجيهِ النَّظر، وتقريرِ الحقائقِ، وفيه حَملٌ على الإقرار بما يعرفونَ ويُشاهِدون، فهم يعلمون عِلْمَ اليقين – بالمشاهدة والحِسِّ – أنَّ اللّه تعالى هو الذي يُنَزِّل الأمطارَ مِنَ السَّماء، ليَختلطَ بالأرض يَشُقُّها شَقًّا، ويوجِدُ فيها خِصْبًا ومَوادَّ مختلفةً، يتكَوَّنُ منها نباتٌ به حَبٌّ متراكِبٌ وأشجارٌ فيها ثمارٌ دانيَةُ القُطوف[3].

ثمَّ جاء الاستفهامُ السّادس، وهو قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ بخلاف ما سبق مِنَ الاستفهامات الخمسة؛ إذ جاء استفهامًا توبيخيًّا يَتَضمَّن إنكارَ واقعِهم الذَّميم، وذلك بعد إقرارِهم الذي

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/339.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/247، ورشيد رضا، تفسير المنار: 11/293، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/155.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/356.

أثبتَه البيانُ الإلهيُّ بقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾، أي: رتَّب توبيخَهم وتذكيرَهم على إقرارهم[1].

والحِكْمَةُ مِن هذا الاستدلال الذي جاء بطريق الاستفهام والجواب في صورة الحوار: أن يكون الدَّليلُ الحاصِلُ به أوقعَ في نفوس السّامعين، ولذلك كان مِن طُرق التَّعليم، ممّا يُرادُ رُسوخُه مِنَ القواعد العلميَّةِ، أن يُؤْتَى به في صورة السُّؤال والجواب[2].

توجيهُ معنى ﴿مِّنَ﴾:

حرفُ الجرِّ ﴿مِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، يحمل ثلاثةَ معانٍ[3]:

اتساعُ دلالة (مِنْ) بين الابتدائيَّة والتَّبعيضيَّة والبيانيَّةِ دليلٌ على بلاغة الإيجاز

الأوَّل: ابتداءُ الغاية؛ أي: بدأ سبحانَه بما فيه قِوامُ حياتِهم، وهو الرّزق الذي لا بدّ منه، فمِنَ السَّماءِ بالمطر، ومِنَ الأرض بالنَّبات، وهيّأ الرِّزق في العالَم العُلْويِّ والعالَم السُّفْلِيّ، ولم يقتصر على جهة واحدة، توسعةً منه وإحسانًا.

الثّاني: التَّبعيضيَّة؛ أي: يرزقُكم مِن بعض ما في السّماء والأرض مِن أرزاق.

الثّالث: البيانيَّةُ، أي: ﴿مِّنَ﴾ لبيان ﴿مَن يَرۡزُقُكُم﴾، على حَذْف المضاف، أي: مَن يرزقكم مِن أهل السَّماء والأرض، والمُراد بأهل السّماء والأَرْض غيرُ الله؛ لأنّه لإنكار رازقٍ سِواه، والكَلام المسوقُ للإنكار، هذا على اعتبار الاستفهام في ﴿مَن يَرۡزُقُكُم﴾ إنكاريٌّ لا تقريريٌّ، وأنَّ قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ إمّا جوابٌ لما بعدَ ﴿مَن يَرۡزُقُكُم﴾ دونَه، أو جوابٌ له أيضًا عنِ السّؤال المفهوم مِنَ الإنكار، كأنَّه قيل: إذا عُلِمَ أن لا رازقَ مِن أهل السَّماء والأَرْض، فمَن يَرْزُقُكم؟!

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/141، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 7/64.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/155.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/52.

وأمّا على اعتبار أنَّ الاستفهامات الخمسةَ في الآية كلّها تقريريَّة، وهو الأصَحُّ؛ لتُناسِبَ ﴿مَن يَرۡزُقُكُم﴾ أخواتِها، فتقديرُ مِن البيانيَّة هو: قل مَن يرزقُكُم مِن أهل السّماء والأرض على زَعْم العرب، كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: 17][1].

فنّ تجاهُلِ العارف:

تجاهلُ العارفِ هو مِنَ المحسِّناتِ المعنويَّة، وهو سَوق المعلوم مساقَ المجهول[2] لنُكْتَةٍ يقصدُها البَليغ[3]، وقد ورد هذا المُحسِّنُ المعنويُّ في قوله تعالى: ﴿مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، وغرضُه البلاغيُّ: المبالغةُ في التَّعبير؛ إذ إنَّ الله سبحانَه يعلم مَنْ وهب الأرزاق في السَّماء والأرض؟ ومَن وَهَب السَّمع والبَصر؟ ومَن وَهَبَ الحياةَ وقوانينَها؟ ومَن يُدَبِّر كلَّ شيء؟ ولكنَّه أراد مِن الاستفهام أن يوقِعَ المشركين في شَرَكِ المغلوبيَّة؛ فقد استعمله تمهيدًا لتخطئَتِهم، وإقامَةِ الحُجَّةِ عليهم، بعدَ أن يسمع جوابَهم، فهُم يَظنّونَهُ سائلاً مُسْتَعْلِمًا، ولذلك أجابوا سؤالَه بقولهم، وفاقَ تعبير البيان الإلهيِّ: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾، وفي هذا تعجيبٌ يصل إلى المبالغة في توبيخهم وتقريعهم، والتَّهكُّم بهم، في أن يتخذوا آلهةً سِواه، وفي الوقت ذاته فيه: تقرير لوحدانيَّة الله سبحانَه.

سَـوقُ المعلومِ مساقَ المجهولِ أوقـعَ المشركين في شَـــرَكِ المـغـلـوبـيَّـةِ، مـبـالـغـةً في توبيخِهم

سِرّ إفراد السَّماء في (يونس) وجمعِها في (سبأ):

أفرد البيانُ القرآنيُّ السَّماء هنا في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وجمعَها في قوله تعالى: ﴿۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [سبأ: 24]، لأحد أمرين:

الأوَّل: أنّ الآيات التي في يونس سِيقَت مَساق الاحتجاج عليهم بما

فـي إفـــرادِ السَّماء إقامةٌ للحُجّةِ عليهم بـمـا يُـقـرّون، وتـحـصـيـلٌ لـلـمـعـنـى مع الإيجاز

(1) القونويّ وابن التَّمجيد، حاشية على تفسير البيضاويّ: 9/451.
(2) عَدَلَ السَّكاكيُّ بهذه التَّسمية (سوق المعلوم مساق غيره) عن تسميته بـ (تجاهل العارف)، وقال: لوقوعه في كلام الله تعالى، يُنظر: ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/210.
(3) الخطيب القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 530.

أقرّوا به، ولم يمكنهم إنكارُه، فإنّه لـمّا قال سبحانَه: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ دلّ أنّه لا بُدَّ أنَّهم يُقِرّون بما ذُكر ولا يجحدونه، فلا بُدَّ أن يكون المذكور ممّا يُقِرّون به، والمُخاطَبون المُحْتَج عليهم بهذه الآية إنَّما كانوا مُقِرِّين بنزول الرِّزق مِن قِبَل هذه السّماء التي يشاهدونها بالحِسِّ، ولم يكونوا مُقِرِّين، ولا عالمين بنزول الرِّزق مِن سماء إلى سماء، فأفرد لفظ السّماء هنا، فإنّه لا يمكنهم إنكارُ مجيء الرِّزق منها، لا سيَّما أنَّ الرِّزقَ هاهنا إن كان هو المطرَ فمَجِيئُه مِنَ السّماء التي هي السّحاب، فإنَّه يُسَمَّى سماء لِعُلوِّه، وقد أخبر سبحانَه أنَّه بَسَط السَّحاب في السّماء بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الروم: 48]، والسَّحاب إنَّما هو مبسوط في جهة العُلوّ لا في نفس الفَلَك، وهذا معلوم بالحِسّ فلا يُلتفت إلى غيره.

فلمّا انتظم هذا بذِكْر الاحتجاج عليهم، لم يصلح فيه إلّا إفرادُ السَّماء؛ لأنَّهم لا يُقِرّون بما ينزل مِن فوقِ ذلك مِنَ الأرزاق العظيمة للقلوب والأرواح، والرَّحمةِ والألطافِ، والمواردِ الرَّبانيَّةِ، والتَّنَزُّلات الإلهيَّةِ، والوحيِ الذي به الحياةُ الحقيقيَّةُ الأبديَّةُ، وما به قِوام العالَم العُلويِّ والسُّفْليِّ، وهو أَوْلى باسم الرِّزق مِنَ المطر؛ الذي به الحياةُ الفانيَة المُنْقَضِيَةُ، ولكنَّ القومَ لم يكونوا مُقرّين بذلك، فخوطِبوا بما هو أقربُ الأشياء إليهم، بحيث لا يمكنهم إنكارُه. وأمّا الآيةُ التي في سورة سبأ، فلم ينتظم بها ذِكْرُ إقرارِهم بما ينزل مِنَ السّماوات؛ ولهذا أَمَر رسولَه بأنْ يتولَّى الجوابَ فيها، ولم يذكر عنهم أنَّهمُ المُجيبون المُقِرّون، فقال: ﴿۞قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [سبأ: 24]، ولم يَقُل: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾، وقد عَدَّ ابنُ القيّم هذا الفرقَ مِن أَدقِّ هذه المواضع، وأغمضِها وألطفِها[1].

الثّاني: إنَّ الإفراد الوارد في آية يونس مُحصِّلٌ للمعنى مَعَ الإيجاز، وأمّا الواردُ في سورة سبأ على الجمع فَروعيَ فيه ما تقدَّم مِن قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: 22]، والمراد بذلك: نفيُ الشُّركاء له تعالى، ثمَّ عاد الكلام إلى ذلك أيضًا، فقال تعالى: ﴿۞قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ على الجمع.

(1) ابن القيم، بدائع الفوائد: 1/117.

إذًا، هذه الآيةُ مِن سورة سبأ وما قبلَها في قضيَّة واحدة، وهي نفيُ الشُّركاء والأنداد، فجاءت على ما يناسب التي قبلَها[1].

سِرّ التَّعبير عنِ الخيرات بالرّزق، وتقديمُه على باقي النِّعم:

عبّر البيانُ الإلهيُّ عن خيرات السّماء والأرض بالرّزق مِنَ السّماء والأرض، وقدَّم سبحانَه هذه النِّعمة على باقي النِّعم؛ لأنَّ الرِّزق هو الغايَة المرجوّة؛ وهو النّعمة الظّاهرة التي أنعم بها ﷻ على عباده في حياتهم؛ مِن غذاءٍ ولباس ومأوى، وكلُّ ذلك كان في اختلاط ماءِ السّماء بالأرض[2]، أي: بدأ أوَّلًا "بما فيه قِوام حياتِهم"[3]وهو الأمرُ الجليُّ الواضحُ لكلِّ أحدٍ؛ لأنَّ كلّ أحدٍ يحتاج إلى الغذاء، ولا يستطيع الصَّبرَ على الجوع بوجهٍ، فيظهرُ له الافتقارُ إليه بالبديهة في كلّ زمان، بخلاف السّمع والأبصار، فإنّ دوامَها غالبٌ، وطُرقَ الإعراض عنها قليلةٌ، ليس في كلّ زمان ولا لكلّ النّاس، بل لبعضهم فقط[4]، فتقديمُ الرّزق مِنَ السّماء والأرض على باقي النّعم لشِدّة احتياجِ النّفوس إليه[5].

الـــرّزقُ قِـــوامُ الحياة والغايةُ المرجوّةُ والنّعمةُ الظّاهرةُ التي لا يستغني عنها أحدٌ

عِلّة عدمِ اقتصار الرّزق على جهةٍ واحدة:

لم يَقْصِرِ البيانُ القرآنيُّ الرّزقَ على جهةٍ واحدةٍ، إمّا السّماء وإمّا الأرض، وإنّما قال: ﴿يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، أي: يرزقكم منهما جميعًا؛ للإشارة إلى فَيْضِ نعمتِه، وسَعَةِ رحمتِه[6].

نـعـمـة الـلـه واســـعـــةٌ لا يحيطها حَدٌّ

بلاغةُ الإطناب بذِكْر مَحلِّ الرّزق:

أطنب البيانُ الإلهيُّ بذِكْر مَحلِّ الرّزق: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ولم يَكْتفِ بقوله: ﴿يَرۡزُقُكُم﴾، مع أنّ الرّزق لا يكون إلّا مِنَ السّماء

تـــصـــويـــرٌ واســتــحــضــارٌ ذِهـنـيّ لأحـوال الرّزق بما يُحقّق الغايةَ مِن ذِكْر النِّعمَة

(1) الغرناطيُّ، ملاك التَّأويل: 1/240، 241.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/356.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/52.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/339.
(5) المطعني، التَّفسير البلاغيُّ للاستفهام: 2/45.
(6) الطِّيبيُّ، فتوح الغيب: 7/479، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/52.

والأرض؛ للتّذكير بأحوال الرّزق؛ ليكونَ أقوى حضورًا في الذّهن، فالرّزق مِنَ السّماء المطرُ، والرّزق مِنَ الأرض النّباتُ كلُّه مِن حَبٍّ وثمرٍ وكَلأ[1]، وهذا مِن شأنه أن يحقّق الغاية مِن ذِكْر هذه النّعم؛ وهو العِبْرةُ والعِظَة.

نُكْتَةُ تقديمِ رزق السّماء على رزق الأرض:

الـــرّزقُ مِـنَ السّماء أسبقُ وأهـمُّ وأعجبُ في الـدّلالـة على كـمـالِ الـقُـدرة الإلهيّة

قدَّم البيانُ الإلهيُّ رزقَ السّماء على الأرض في قوله تعالى: ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأمور؛ الأوَّل: مُراعاةً للسّبق والأهميّة، فنزولُ الماء مِنَ السّماء هو أوّلُ أسباب الرّزق وأهمّها. الثّاني: لأنّ الأسباب السّماويَّةَ - من نزول المطر، وحرارةِ الشّمس، وأَثَرِ القمر والكواكبِ - بمنزلة الفاعل، وأمّا الأسبابُ الأرضيّة - مِنَ التّربة وغيرِها - فهي بمنزلة القابِل، فقَدَّم الفاعلَ على القابل[2]. الثّالث: لأنّ نزولَ الرّزق مِنَ السّماء أعجبُ وأدلُّ على كمالِ قُدرته سبحانَه. الرّابع: السّماء أسبق في الخَلق مِنَ الأرض؛ فقدَّم الأسبقَ خَلْقًا.

سِرُّ تخصيصِ عطفِ ملكيّةِ السَّمع والأبصار بـ(أم):

في الإضـــراب تنبيهٌ على كفايةِ الاستـفـهـامِ في الـــدّلالـــةِ على إثباتِ قُدرةِ الله

﴿أَمَّن﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ هي: (أم) المنقطعة، و(مَنْ) الاستفهاميّة، وقد جاءت (أم) المنقطعة هذه بعد ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾ الاستفهاميّة، وقبل ﴿أَمَّن يَمْلِكُ﴾ الاستفهاميّة، وأفادت معنى (بل) دونَ الهمزة؛ لأنَّه وَقَعَ بعدَها هنا اسمُ استفهامٍ صريح، وهو (مَنْ)، فلا يدخل استفهام على استفهام[3].

والسِرُّ في تخصيص عطف مُلْكِيّة السّمع والأبصار بـ(أم) دون الواو، هو إفادةُ معنى الإضراب، وهو هنا: إضرابٌ انتقاليٌّ لا إبطاليٌّ؛ إذِ المقصودُ السّؤال عن كلٍّ منها؛ وذلك للتّنبيه على أنّ كلَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/155.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاويّ: 9/451.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/52، والهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 12/220.

واحدٍ منها يكفي في إثبات التّوحيد، وفي أنّه لا يشارِكُه أحدٌ في شيءٍ من ذلك، فضلًا عنِ المجموع مِن حيث المجموعُ[1].

والمعنى: بل قل لهم: مَن يملكُ السَّمع والأبصار؟! ومَن يملك خَلْقَهما على هذا النَّمط البديع، والتَّركيبِ الغريبِ؟ ومَن يملك حِفْظَهما مِنَ الآفات معَ كَثْرتِها، وسُرْعَةَ انفعالِهما مِن أدنى شَيءٍ يصيبُهما؟[2].

للسّمع والأبصار أهميّة في حياة النّاس أجمعين

و"السِّرُّ في عطف مُلْكِيَّة السّمع والأبصار بـ(أم)، وما عداهما بالواو؛ التّنبيهُ على ما للسّمع والأبصار مِن أهميّة في حياة المخاطَبين، فردًا فردًا، والصّنعِ الإلهيِّ العجيبِ الذي أخرجَهما فيه، فعَطَفَ بـ(أم) ليُنْتَقَلَ مِن نعمة جليلة إلى نعمة جليلة مثلِها"[3].

صَوغُ فعلِ الملكِ مضارعًا في: ﴿يَمْلِكُ﴾:

حفظُه للحواسّ مستمرٌّ سبحانَه، وقيّوميّتُه عليها لا تنقطعُ

عبّر البيانُ القرآنيُّ عن فعل الملك بصيغة المضارع ﴿يَمْلِكُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾؛ للدّلالة على دوام مُلْكِه واستمرارِه للسَّمع والأبصار؛ فَحِفْظُه لها مستمرٌّ؛ إذ يعملان بقُدرته، وتصريفه، وسلطانه، وقيّومِيَّتُه عليهما لا تنقطع.

عِلّة ذِكْرِ السّمع والبصر عَقِبَ الرّزق:

في السّمع والبصرِ صَنعةٌ عجيبةٌ، وقُدرةٌ باهرةٌ، ونفعٌ عظيمٌ

خَصَّ اللّه السّمع والبصرَ بالذِّكْر عَقِبَ الرّزق، وأسند إليه سبحانَه مُلْكِيَّتَهما دونَ غيرهما لأمرين؛ الأوّل: لما فيهما مِنَ الصَّنعَة العجيبة، والقُدرةِ الباهرةِ العظيمة، أي: مَن يستطيع مُلْكَهُما وتسويتَهُما على هذه الصّفة العجيبة، والخِلْقة الغريبة، حتَّى ينتفعوا بهما الانتفاعَ العظيم؟[4]. الثّاني: خصّهما بالذِّكْر مِن باب التّنبيه على المفضول بالفاضل، ولكمالِ شرفِهما ونفعِهما[5]، فهُما أشرف

(1) القونويّ وابن التَّمجيد، حاشية على تفسير البيضاويِّ: 9/451.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/141، والحجازيُّ، التَّفسير الواضح: 2/59.
(3) المطعني، التَّفسير البلاغيُّ للاستفهام: 2/45.
(4) الشَّوكانيُّ، فتح القدير: 2/504.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/53، والسَّعديُّ، تيسير الكريم الرحمن، ص: 363.

الحواسّ، وعليهما مَدارُ الحياة الحيوانيَّة، وكمالُ الحياةِ الإنسانيَّة؛ إذ بهما تحصيلُ العلوم الأَوليَّةِ[1]، فهما أظهَرُ حاسَّتين عامِلَتَين في الإنسان، فإذا فقدَهما كان كَومَةً متحرِّكَة مِن لحم، لا تَعْقِل ولا تَعِي شيئًا! فعن طريق السّمع والبَصر، جاءتِ المعرفةُ إلى الإنسان، وتكَوَّنت مَدارِكُه، وأَخيلَتُه، وتصوراتُه، وعن طريق السّمع والبصر، تتحوّل هذه المعرفةُ إلى قوًى دافعةٍ، تُحرِّك الإنسانَ، وتوجِّهُهُ إلى غاياته في الحياة[2].

وجهُ تقديم السّمع على الأبصار:

السّمع أشرفُ نِعمًا وأعظمُ نفعًا مِنَ البصر

قدَّم البيانُ الإلهيُّ السّمعَ على الأبصار في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾؛ دلالةً على أهميّةِ السّمع؛ لأنّ السّمع أشرفُ نِعمًا، وأعظمُ نفعًا مِنَ البصر[3]، فهو آلةٌ لتَلقّي المعارفِ التي بها كمالُ العقل، وهو وسيلةُ بلوغِ دعوةِ الأنبياء إلى أفهام الأُمم على وجهٍ أكملَ مِن بلوغها بوساطة البَصر[4]، وهذا يوافق سياقَ الآية التي تُقيم الحُجّة على المشركين بما أنعمَهُ اللّه عليهم، ويوافق ما جرى عليه اصطلاحُ القرآنِ مِن تقديم السّمع على البصر[5].

علّةُ توحيد السّمع وجمعِ الأبصار:

الصّوت شيءٌ واحدٌ، وهو في الأصل مصدرٌ دالٌّ على الجنس

وحّد البيانُ الإلهيُّ السّمعَ وجمعَ الأبصارَ في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾؛ لأمور؛ أحدها: أفرد السّمع اعتبارًا بالأصل؛ فإنّ السّمع مصدرٌ في أصله، فهو دالٌّ على الجنسِ الموجودِ في جميعِ حواسِّ النّاسِ، وأمّا الأبصارُ فجيءَ به جمعًا؛ لأنَّه اسمٌ، فهو ليس نصًّا في إفادةِ العمومِ؛ لاحتمالِ توَهُّمِ بصَرٍ مخصوصٍ، فكان الجمعُ

(1) المراغيُّ، تفسير المراغيّ: 11/100.
(2) الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 6/1000.
(3) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاويِّ: 9/451.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/258.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/184.

أدَلَّ على قصدِ العمومِ، وأنفى لاحتمالِ العهدِ[1]. وثانيها: أفردَ السّمع بتقدير مضافٍ فيه، أي: مَن يملك حواسّ السّمع. وثالثها: أنّ ما يتعلّق بالسّمع واحد، وهو المسموعات، فإنّها منحصِرةٌ في الأصوات، بخلاف أخواته[2]؛ فالسّمع طريق إلى شيءٍ واحد هو الصّوت، والصّوت وإنِ اختلف قوّةً وضعفًا، ورقّةً وخُشونةً، فهو على أي حال شيءٌ واحدٌ في النَّوع، وإنِ اختلف في الدَّرجة، وأمّا البصرُ فتتعدَّدُ فيه أجناسُ المُبصَراتِ[3]؛ فهو طريق إلى هذا الكون كلِّه، وما فيه مِن عوالم وأكوان، وما في كلّ عالَم وكَوْن مِن ناطق وصامت، ومتحرِّكٍ وثابت، وجامِدٍ وسائل[4].

توحيدُ السّمع وجمعُ الأبصار عادةٌ قرآنيةٌ

إنّ توحيد السّمع وجمعَ الأبصار جاء على عادة القرآن الكريم[5]؛ فالمتتبِّعُ لآيات الله، التي تتحدّث عنِ السّمع والبصر، يجد أنّ القرآن الكريم قد فرّق بينَ السّمع والبصر، في الصّورة التي عبّر بها عن كلّ منهما، فأمّا السّمع فقدِ التزم فيه القرآنُ الكريم الإفرادَ مطلقًا، سواء اقترن به البصرُ أم لم يقترن، وسواء جاء منكّرًا أو مُعَرّفًا بأل أو بالإضافة، ولم يقع في القرآن مجيءُ السّمع جمعًا في أيّ حالٍ من أحواله، ولم يرد في القرآن لفظُ الأسماع أبدًا[6].

نُكْتَة إطلاقِ مِلك السّمع والأبصار دون ذكر (خلقهما، حفظهما):

السّمع والبصر تحت سلطان الخالق سبحانَه

عبّر البيانُ الإلهيُّ بملْكِيَّة الله للسَّمع والأبصار، لا بخلقهما أو حفظهما، فقال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾؛ لأنَّ الملكيةَ تُطْلِقُ يدَ المالكِ في التّصرّف فيما مَلَكَ، "من إبقاءٍ وحفظ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/156.
(2) القونويّ وابن التَّمجيد، حاشية على تفسير البيضاويِّ: 9/451.
(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/291.
(4) الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 6/1001.
(5) المقصود بذلك الأغلبيَّة، إذ ورد في سورة الإسراء البصر بلفظ المفرد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ [الإسراء: 36].
(6) الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 6/1001.

وإذهاب"[1]، ولا ينفي هذا أن يكون المالكُ هو الخالقُ، فهو يخلُقُ ويملك ما يخلقُ، فالتّعبير بملكية الله للسّمع والأبصار يدلُّ على أنّ الله سبحانه وإنْ تفضّل بهما على الإنسان، فهما لم يخرجا عن سلطانه، وأنَّهما - وهما يعملان في الإنسان - يعملان بقدرة الخالق، وبتصريفه لهما، وأنّه سبحانَه هو الذي يُمدُّهما بالقوى التي يعملان بها، ولولا هذا لبَطَلَ عملُهما، وهو القادر على أن يأخذ هذه القوى ويبطلَ عملَ السّمعِ والبصر، كما يقول سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 46][2].

ملكيّة السمع والبصر تذكير بدقيق صنعه تعالى، ومديد نفعه

وفي التّعبيرِ بملكية الله للسّمع والبصر استدلالٌ وتذكيرٌ بأنفعِ صُنعٍ وأدَقِه؛ لأنَّهما من صُنع الملك سبحانَه، وإشارةٌ إلى عموم التّفضّل بهاتين النّعمتين؛ إذ إنّ مِلْكَهما يعني خلقَهما وتسويتَهما على الحَدِّ الذي سوِّيا عليه مِنَ الفطرة العجيبة، وحمايتَهُما وعصمَتَهُما مِنَ الآفات، وغيرَ ذلك، أي: أنّ لفظة المِلك أوسعُ دلالةً مِن لفظةِ الخَلْق، أو لفظة الحِفظ، ولو عُبِّر بأحدهما لما دلَّ على هذا العموم.

وجهُ عطْفِ الاستفهامِ بالواو: ﴿وَمَن﴾:

العطفُ زيادةُ بيانٍ لأنواع النِّعَم التي تفضَّل بها الله، وأقامَها حُجَّةً على المشركين

عطفَ القرآنُ الاستفهامَ ﴿وَمَن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ بالواو الذي يفيد مُطلق الجمع، لا التَّرتيبَ أو التَّعقيبَ؛ لأنّه لا يوجد بينَ المعطوفات ترتيبٌ ولا تعقيبٌ، فلذا قَدَّم رزقَ السّماء ورزقَ الأرض، وخَلْقَ السّمع والبصر، وحفظَهُما؛ لأنّها أوضحُ ما المشركون فيه وأقربُه، ثمَّ عطف عليها ما نبَّهَهُم به على ما قبلَ الرِّزق والسّمع والبصر، مِن بَدْء الخَلْق، فقال: ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ﴾[3].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/52.
(2) الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 6/1000.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 9/113.

إذًا، ليس مقصودُ العطفِ التَّرتيبَ أو التَّعقيبَ، وإنَّما زيادةُ بيانٍ لأنواعِ النِّعمِ التي تفَضَّل بها اللّه، وأقام بها الحُجّة على المشركين.

نوع التَّعريف في: ﴿ٱلۡحَيَّ﴾ و﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾:

أل التَّعريف في ﴿ٱلۡحَيَّ﴾ و﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾ في المرّتين في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ جنسيّةٌ استغراقيةٌ[1]؛ تفيدُ العمومَ، أي: تشمل كلَّ حيٍّ وكلَّ ميّت، "وذلك أنَّ كلَّ حيٍّ فارقَه شيءٌ مِن جسده، فذلك الذي فارقَه منه ميّت، فالنُّطفة مَيِّتة؛ لمفارقتها جسدَ مَن خرجت منه، ثمَّ يُنشِئ اللّه منها إنسانًا حيًّا، وبهائمَ وأنعامًا أحياءً، وكذلك حُكمُ كلّ شيء حَيٍّ زايلَه شيءٌ منه، فالذي زايلَه منه ميّت"[2].

من تمامِ قدرته أنْ يكونَ خَلْقُه للحيّ والميّت عامًّا شاملًا في كلّ حيٍّ وميّت

وجهُ البَدءِ بإخراجِ الحيّ دونَ الميّت:

قدَّم القرآنُ إخراجَ الحيّ مِنَ الميّت على إخراج الميّت مِنَ الحيّ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾؛ لأمور؛ الأوَّل: لشرفِ الحياة (شَرفِ الحيّ على الميّت)[3]. الثّاني: لقصدِ البَداءَة به والختم؛ اعتناءً بشأنه، إذ بدأ بالحيّ وختم بالحيّ، وهذا الاعتناء به؛ لأنّه أخفى، فلا يدركُه كلُّ أحد[4]. الثّالث: تقديم الحيّ على الميّت أعجب؛ لأنّه أكثرُ دلالة على كمال القُدرة؛ فإنّ خروج الحيّ مِنَ الميّت؛ كالدَّجاجة مِنَ البيضة، أعجبُ في القُدرة، مِن خروج الميّت مِنَ الحَيّ؛ كالبيضة مِنَ الدّجاجة، ولا سيما أنّ السّياق هو الاستدلال على ألوهيّته وقدرته سبحانّه.

تـقـديـمُ الـحـيّ عـلى الـمـيّـتِ أكـثرُ دلالة على كمال القُدرة

بلاغة الكناية في الآية:

في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾

الـكُـفـرُ مـوتٌ، والإيـمـانُ حياةٌ يهدي الله إليها مَن طلبها

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/156.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 6/308، وهو، وإن رأى أنَّ لهذا القول وجهًا مفهومًا، إلّا أنّه لم يرجّحه.
(3) السُّيوطيُّ، معترك الأقران في إعجاز القرآن: 1/131.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/339.

كنايةٌ؛ على قولِ مَن فَسَّر الحياةَ والموتَ في الآية الكريمة بالشَّيء المعنويّ، وهو إخراجُ المؤمنِ مِنَ الكافر، والكافرِ مِنَ المؤمن[1]، وقد ذكر الطَّبريُّ مَن فسَّره بذلك مِنَ السّلف؛ كالحسن البصريّ[2]. وممّا يُؤيّد هذا الرّأي قولُه تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: 122]، وما ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «سبحانَ الله، الذي يُخرج الحيَّ مِنَ الميّت»، وقد رأى امرأةً صالحةً ماتَ أبوها كافرًا، وهي خالِدَة بنتُ الأسود بن عبد يَغوث[3].

الإخـــراج من فيوضات المنان وفيـه التكاثر وتعاقب الأجيال

وهو كناية عنِ الفيض الإلهيّ، والتّكاثُر، وتعاقبِ الأجيال، وتكمن بلاغةُ هذه الكناية في أنّها امتداحٌ للمؤمنين الأوائلِ الذين آمنوا برغم كُفْر آبائهم، ومَنْعِهم لهم مِنَ الإيمان، وذَمٌّ للكافرين الذين كفروا برغم إيمان آبائهم، وحِرْصِهم على إيمان أبنائهم، وأنّ فيها تبشيعًا للكُفْر؛ إذ وَصَفَه بالموت، وترغيبًا بالإيمان إذ وَصَفَه بالحياة.

براعةُ التّضاد بينّ الحيّ والميّت في الآية:

مِن باهرِ قُدرته سبحانَه إخراجُ الضِّد مِن ضدِّه

عَطَفَ القرآنُ قولَه: ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾، على قوله: ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾؛ لأنّه إخبارٌ بضدٍّ مضمونِ ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾، وصُنْعٍ آخرَ عجيبٍ دالٍّ على كَمال الْقُدْرَة، وَنافٍ تصرُّفَ الطبيعةِ بالخَلْق؛ لأنّ الفعل الصّادر مِنَ العالِم المختار يكون على أحوال متضادّة، بخلاف الفعلِ المتولّد عن سببٍ طَبْعيّ.

وقد نُظِّمَ هذا الاستدلالُ على ذلكَ الصُّنع العجيبِ بأسلوبِ الأحاجِي والألغاز، وجُعِلَ بمُحَسِّنِ التَّضادِّ، كُلُّ ذلك لزِيادةِ التَّعْجِيبِ منهُ[4].

(1) الواحديُّ، التَّفسير البسيط: 11/187، والزُّحيليُّ، التَّفسير المنير: 11/164.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 6/309.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/89، والحديث أخرجه الطَّبريُّ عن الزُّهري مُرسلًا: 6/308.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/388.

بلاغة الطّباق في: ﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

تـقـابـلُ رِزقِ السّماء مع رزقِ الأرضِ يـزيـدُ الـكـلامَ حُسنًا، ويدلُّ على كمال القُدرة

جمع البيانُ القرآنيُّ بينَ لفظين متقابلين في المعنى، هما: السّماء والأرض، ويُعرَفُ بالطّباق، وهو مِنَ المحسِّنات البَديعيَّة؛ إذ إنّ تقابلَ المعنيين ممّا يزيد الكلامَ حسنًا وطَرافة، ويَدُلُّ على كمال القُدرة التي تشمل الأشياءَ كلَّها، توافقت أم تقابلت، أم اختلفت، فهو لا يَرْزُق مِنَ السّماء فقط، أو مِنَ الأرض فقط، بل إنّ قدرَتَه تشْمَل السّماء والأرض.

بلاغة ردِّ العَجُزِ على الصَّدر:

التصديرُ يزيدُ الـكـلامَ حُسنًا والمعنى تمكنًا

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ ردَّ أحدَ اللَّفظَين المكرَّرَين، المتَّفقَين في اللّفظ والمعنى، على الآخر، فردّ لفظة ﴿ٱلۡحَيِّ﴾ في آخِر الجملة في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾، على لفظة ﴿ٱلۡحَيَّ﴾ في أوّل الآية في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ﴾. وهذا مِنَ المحسِّنات البَديعيَّة، التي تُعْرَف بَرَدِّ العَجُزِ على الصَّدر، والتي تزيد الكلامَ حُسْنًا والمعنى تمكُّنًا.

بلاغة الإطناب بعطف العامّ على الخاصّ:

اهـتـمـامٌ بشأنِ الـخـاصّ الـذي ذُكِـر، وتعميمٌ لتدبيرِ إلـهـيّ لا نهايةَ له

أطنبَ البيانُ القرآنيُّ بذكرِ العامّ؛ وهو قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ﴾ بعد الخاصّ؛ وهو قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم﴾، أي: ما سبق مِن نِعَم الرِّزق والخَلْق، وحِفْظ السَّمع والأبصار، وغيرِ ذلك؛ إذ إنّ كلَّ ما سبق مِن نِعَمٍ يندرج فيها[1]؛ "فتدبيرُ الأمر عامٌّ في كلِّ شيء"[2].

وفائدةُ الإطناب هنا بذكر العامّ بعد الخاصّ واضحةٌ؛ وهي التّعميم بذكر العامّ، وأنّه ليس المقصودُ ما ذُكر فقط، فأقسامُ تدبير الله تعالى في العالم العُلْويّ والسّفليّ، وفي عالَمَي الأرواح

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/63.

(2) الصّاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 797.

والأجساد، أمورٌ لا نهايةَ لها، وذِكْرُ كُلِّها كالمُتَعَذِّر، فلمّا ذَكَر بعضَ تلك التَّفاصيل لا جَرمَ عَقَّبَها بالكلام الكلِّيّ؛ ليَدُلَّ على الباقي[1]، والاهتمامِ بشأنه الخاصّ الذي ذُكر؛ لذا أفردَه بالذِّكر[2].

نكتةُ التّعبير بالمضارع في: ﴿يُدَبِّرُ﴾:

آثرَ القرآنُ التّعبيرَ بالمضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾؛ "للدّلالة على تَجدُّد التّدبير واستمراره"[3] منه سبحانَه.

تدبيرُ الله سبحانَه مُتجدّدٌ مستمِرٌّ لا ينقطع، إذ بيده ملكوت كلّ شيء

سِرُّ العدول مِن فعل الأمر، إلى المضارع:

عَدَلَ البيانُ الإلهيُّ عنِ التّعبير بفعل الأمر: (قُل)، إلى المضارع: (سيقولون)، في قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾، أي: لم يقل: (قلِ اللّه)؛ مراعاةً للسِّياق، وهو إقامة الحُجَّة عليهم بما يُقِرّون به ولا يجحدونه؛ مِن نزول المطر مِن قِبَل هذه السّماء التي هي السَّحاب، ومن الأرزاقِ التي في الأرضِ حيث يعيشون عليها، ومِن نعمة حِفْظِ السّمع والأبصار، وإيجادِ الحَيِّ مِنَ الميّت، وإيجادِ الميّت مِنَ الحيّ، ممّا يُشاهدونه بالحِسِّ، وهو أقربُ الأشياء إليهم.

جوابٌ لا يستطيعونَ إنكارَه؛ لأنّهم مُقِرّون معترفون بأنَّ اللهَ هو الخالق المدبّر

إذًا، فإقرارهم يناسبُه أن يكون اللّفظ القرآنيُّ: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾، ولو عبّر بـ (قلِ اللّه)؛ لدَلَّ على أنَّهم لم يكونوا مُقِرّين بما ذَكَره مِن أدلَّة، ولذا أَمَر رسولَه بأن يتولَّى الجوابَ فيها، كما في قوله تعالى: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ: 24]؛ إذ إنَّهم لم يكونوا مُقِرّين بكُلّ ما في السّماوات مِن رزق التَّنَزُّلات الإلهيَّة، والوحي وما به قِوام العالَم العُلويّ والسُّفْليّ[4].

بينَ السّببيّة التي تُفيد اقترانَ الإقرارِ بالسّؤال، والتّعقيبِ الذي يُفيد الإسراعَ بالإقرار

دلالةُ الفاء في: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ تحتمل وجهين؛ الأوّل:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/247.
(2) السُّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 3/241.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/118.
(4) ابن القيم، بدائع الفوائد: 1/117.

فاء السّببيّة التي مِن شأنها أن تقترن بجوابِ الشّرط إذا كان غيرَ صالحٍ لمباشرة أداة الشّرط، وذلك أنّ القرآن قَصَدَ تَسَبُّبَ قولهم: (اللّه) على السّؤال المأمورِ به النّبيّ ﷺ، فَنُزّل فِعْلُ (فقل) منزلةَ الشّرط، فكأنّه قيل: (إنْ تَقُل مَن يُرزقُكم مِنَ السّماء والأرض فسيقولون اللّه)، ومنه قولُه تعالى: ﴿۞قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ﴾ [الإسراء: 50- 51]، ولو لم يُنَزّل الأمرُ منزلةَ الشّرط لما جاءت الفاء، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ [المؤمنون: 84- 85][1]. الثّاني: فاء التّعقيب، والمعنى: فَسَيَقولونَ بلا تلعثُم ولا تأخيرٍ (اللّه)؛ إذ لا مجالَ للمُكابرَة لغاية وضوحِه[2].

دلالة السين في: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾:

جوابُ المشركين بالإقرار حالٌ مستمرٌ منهم

السّين حرفٌ يختصّ بالمضارع، ويُخلّصُه للاستقبال، وهو حَرفُ تَوَسُّعٍ، أي: أنّ السّين بدخولها على الفعل المضارع الذي يُفيد الاستمرارَ (يقولون)، نقلتِ استمرارَ قولهم مِنَ الزّمن الضّيّق - وهو الحال - إلى الزّمن الواسع، وهو الاستقبال، أي: أنّ إقرارَهم لا يَختصّ بالزّمن الضّيّق، وهو الحال فقط، وإنّما هو مستمرٌّ منهم، إذ لا يستطيعون إنكارَ أنّ اللّه تعالى هو الذي خلقهم، وهو الذي يُدبِّر أمرَهم، وإنّما كانوا يتّخذونَ الشُّركاء للزُّلْفَى، كما حكى القرآنُ عنهم في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الزّخرف: 87]، وفي قوله سبحانَه حكايةً عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزّمر: 3][3].

ويمكن أن تكون السّين في الآية للاستمرار لا للاستقبال؛ إذ إنّ السّين قد تأتي للاستمرار لا للاستقبال، كقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/156.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/141.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/64.

ٱلسُّفَهَآءُ﴾؛ لأنّ اعترافَهم بما ذكرتْهُ الآيةُ موجودٌ قبلَ نزولها، وقال ابن هشام: "وهذا لا يعرفه النّحويون، بل الاستمرار مُستفادٌ مِنَ المضارع، والسّين باقية على الاستقبال؛ إذِ الاستمرار إنّما يكون في المستقبل"[1].

وتفيد السين أنّ الجواب غيرُ حاضر في أذهانهم، ومِن ثَمَّ احتاجوا معه إلى مُحاجّةٍ ومناظرةٍ، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: 25]، فإنّه تضمّن أنّ إيمانَهم بأنّ الله ﷻ هو الذي خلق السّماواتِ والأرضَ إيمانٌ حاضِرٌ في أذهانهم، وثابتٌ في عقيدتهم، لا يحتاج محاجّة ولا مناظرة، فجوابُ السّؤال عنه جاهزٌ لديهم، ولذا جاء التّعبير الذي يُعَبّرون به بصيغة: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

إيثار التّعبير عن فاعل ما تقدَّم باسمه الأعظم:

فِطْرتُهم نَطقتْ وأقـرّتْ بـأنَّ الله لهُ الكمالُ كـلُّـه بالحياةِ والقيّوميّةِ

في قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ آثرَ البيانُ الإلهيُّ التّعبير عن فاعل ما تقدَّم بالاسم الأعظم الجليل (الله)، دونَ غيره مِنَ الأسماء الحُسنى؛ لأنّ اسمَ (الله) هو اسمُ الذّاتِ الذي يَجمَعُ كلَّ صفاتِ الكمال، أي: فسيقولون الله الذي له الكمالُ كلُّه بالحياة والقَيوميّة[2]، وهو الذي اختَصّ به سبحانَه دونما سِواه، لأنّهم يقولون: (إله) و(ربّ) لغير الله.

توجيه إعراب لفظ الجلالة:

إذا تساوى الإثباتُ والحَذفُ، فالحَذْفُ أبلغُ

الاسمُ الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ، والخبر محذوف، وقد حُذِف الخبرُ جَوازًا؛ لأنّه جاء في جواب الاستفهام عنِ الأسئلة التي سبقت، وذلك للإيجاز والاختصار؛ إذ دَلَّ عليه دليلٌ، ولم يَتأثَّرِ المعنى بحذْفِه، فكان الإيجاز أبلغَ، والتّقدير:

(1) السُّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 2/233.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/113.

فسيقولون اللّه وَحدَه هو الذي فعل كلَّ ذلك، أي: جاء الخبر مُتَعدِّدًا لكلّ الأسئلة التي مرّت.

دلالة فاء ﴿فَقُلْ﴾:

(الفاءُ) في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تحتمل ثلاثة أوجه؛ الأوَّل: التّعقيب، أي: لترتيب ما بعدَها على ما قبلَها، فَتَرتَّبَ على إقرارِهم بقولهم: (اللّه) دعوتهُم إلى تقوى اللّه، والإحساسِ بجلاله، وتجنبِ ما لا يرضيه[1]. الثّاني: فاءُ الفَصيحَة؛ لأنّها أفصَحَتْ عن شرط مُقَدّر، أي: إنْ قالوا ذلك فقلْ أفلا تتقون[2]. الثّالث: السّببيّة، "أي: فتَسبَّبَ عن ذلك أنّنا نقول لك: قل لهم مُسَبّبًا عن جوابهم هذا الإنكار عليهم في عدم التَّقوى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾"[3].

إقـرارُ المشركين بـألـوهـيَّـة الله يـترتَّـبُ عليه دَعـوتُـهـم إلى تجنُّبِ الإشراكِ به

وعلى الأوجه الثّلاثة هناك تَرتّب أمرٌ على أمر، أي: تَرتّبَتْ دعوتُهم إلى تَجنُّبِ الإشراكِ به على إقرارِ المشركين بأُلوهيَّة اللّه سبحانَه.

توجيه التَّعبير بالاستفهام في: ﴿أَفَلَا﴾:

الاستفهام في قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ استفهامٌ توبيخيٌّ، يتضمَّنُ إنكارَ واقعِهم الذَّميم، وهمزة هذا الاستفهام الإنكاريِّ داخلةٌ على كلام مُقَدَّرٍ، والفاءُ عاطفةٌ على ذلك المحذوف، وتُعْرَف بالفاء الفَصيحَة، تقديره: فقل لهم يا محمَّد عند ذلك تبكيتًا لهم، ووعظًا وتذكيرًا؛ أَتَعْلَمون وتَعْتَرفون بأنَّ اللّه تعالى هو الخالق لكلِّ ما سبق، ومع ذلك تُشْرِكون معَه آلهةً في العبادة، فلا تتَّقون سَخَطه وعقابَه لكم، بشركِكُم وعبادتِكُم لغيره، ممَّن لا يملك لكم ضَرًّا ولا نَفعًا[4]، وفيه – فَضْلًا عن إنكار عدم التَّقوى – الحَثُّ على التّقوى والتّرغيب بها[5].

إنـكـارٌ حَـمَـلَ معنى التّبكيت والوعظ والتّذكير لـلـمُـشـركـين؛ ليتداركوا سَخَطَ الله

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3561.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/157.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 9/113.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/141، والهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 12/221، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 7/64.
(5) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 2/45.

وقد سمَّى ابنُ عاشور هذه الفاء فاءَ التَّفريع، والمعنى: يَتفرَّع على اعترافكم بأنّه الفاعلُ الواحد؛ إنكارُ عدمِ التَّقْوَى عليكم[1].

دلالة التّعبير عنِ التّقوى بالمضارع:

عبَّر القرآنُ عن التّقوى في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ بصيغة المضارع؛ للدّلالة على وجوب الاستمرار والتّجدّد، والتّكرار للتّقوى منهم في كلّ ما يتعلَّقُ بهم؛ لأنّ التّقوى تستلزم الممارسةَ، فهي حالةٌ نفسيّة، وعادةٌ سلوكيَّة، تترسَّخ في القلب والنَّفس باستمرار الممارسة.

إقـرارُ المشركين بـنِـعَـم الـلـه الـعـظـيـمـة يستلزمُ منهم التّقوى، وعدمَ الانفكاك عنها

وجه حَذْفِ متعلّق التّقوى في: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

حَذفَ القرآنُ الكريم متعلّقَ التّقوى، أي: مفعولَ قولِه: ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأمور؛ الأوَّل: إفادةُ العموم، أي: يَعُمّ كلَّ ما يجب أن يتّقوه ويتجنّبوه من عذاب الله وغضبِه وسَخطِه في الدّنيا والآخرة، ومِن كلّ أنواع السّيّئات؛ مِنَ الكفر والمعاصي بأنواعها، وهذا أبلغ مِن ذِكْر المفعول به؛ لأنَّه يؤدّي إلى تخصيص بعضٍ ممّا يجب تجنُّبه، ولا سيَّما أنّ ألفاظ الآية الكريمة تمتاز بوفرة الدّلالة على نِعمٍ لا بدَّ أن يتّقوا عذابَ الكفر بكلّ واحدةٍ منها. الثّاني: مراعاةُ الفاصلة التي قبلَها ﴿يَفْتَرُونَ﴾، والتي بعدَها ﴿تُصْرَفُونَ﴾، بما يُحقّق إحكامَ اللَّفظ، أي: التَّطريبَ وراحةَ النَّفس بنغمها الموافقِ للفاصلَتين المذكورتين؛ إذ خُتمتا بالواو والنّون، والواوُ من حروف المدّ التي هي مِنَ الحروف الطَّبيعيَّة في الموسيقى، وبما يُحقّق إحكامَ المعنى وإكماله؛ فضَياعُ ما كانوا يفترونَه يستلزمُ بعدَ إقامة الحُجَّة عليهم أن يكونوا مِنَ المتَّقين، لا أن ينصرفوا عنِ الحَقّ إلى الضَّلال بعد اعترافهم وإقرارهم. الثّالث: الاختصار؛ لشُهرته وظُهوره، فَذِكْره وحَذْفُه سواء، فيُحْتَرزُ عن ذِكْره اختصارًا.

العمومُ يُفصِحُ عن كُنْهِ المطلوبِ منهم تَجنُّبُه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/157.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الخَلْق والجَعْل والمِلْك:

الخَلْقُ تقديرٌ وإبداعٌ، والجَعْلُ تصييرٌ وتهيئة، والمِلكُ قوّة وانفرادٌ بالتَّصرف

(الخلق): تقديرُ الأشياء، وإيجادها على مثالٍ لم يُسبق إليه[1]، أي: إبداع الشّيء مِن غير أصل ولا احتذاء، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: 1]، ويُستَعمل في إيجاد الشَّيء مِنَ الشَّيء[2]، والجَعْلُ: التَّهيئَةُ والصُّنْعُ، وتصييرُ الشَّيء مِن حالة إلى حالة[3].

وقد ذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ (جعل) بمعنى (خلق)، إلّا أنّ الزّمخشريّ فرّق بينَهما فقال: "والفرق بينَ الخَلْق والجَعْل: أنّ الخَلْق فيه معنى التَّقدير، وفي الجعل معنى التَّضمين، أي: إنشاء شيء مِن شيء، أو تصيير شيء شيئًا، أو نقلُه مِن مكان إلى مكان...، وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: 1] لأنَّ الظّلماتِ مِنَ الأَجْرام المتكاثِفَة، والنّورَ مِنَ النّار"[4].

نخلص ممّا سبق: إلى أنّ الاستعمال القرآنيَّ لكلمتي (خَلَق) و(جعل) يُظْهِر أنَّهما يَشتركان في معنى إحداث الشَّيء مِنَ الشّيء، ويَتَميّز لفظُ (الخلق) بمعنى: التّقدير والإبداع والأوليّة، في حين يَتميّز الجَعْلُ بمعنى التّصيير والتّهيئة، وكونه محصَّلًا مِن آخَر.

أمّا (المِلك): فيختلف معناه عنِ الخَلْق والجَعْل، إذ معنى المِلك في اللّغة: يدلّ على قوّة في الشَّيء وصِحَّة[5]، ومَلَكَ الشَّيء: حازه، وانفرد بالتّصرّف فيه، فهو مالك[6]. فمَن يَخْلُق ويَجْعَل يَملُك وينفرد بالتَّصرّف، يقول الشَّعراويُّ في معنى الخَلْق والجَعْل والملك: "الحقُّ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (خلق).
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 296.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (جعل).
(4) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 2/3.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ملك).
(6) الزَّبيديُّ، تاج العروس، ومجمع اللُّغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: (ملك).

ﷻ قد خلق المادّة أوّلًا، ثمّ جعل من المادة سمعًا وبصرًا، وزاد من بعد ذلك: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ﴾، فمَن خَلَق هو الله تعالى، ومَن جَعَل هو الله تعالى، ومَن مَلَكَ هو الله تعالى"[1].

ومِن هنا فالتّعبير بملْكِيّة الله للسّمع والأبصار، لا بخلقهما أو جَعْلِهما؛ لأنَّ الملكِيّةَ تُطْلِقُ يدَ المالك في التّصرف فيما مَلَكَ، وأنّ الله سبحانَه وإنْ تفضّل بهما على الإنسان فهما لم يخرجا عن سلطانه، وأنّهما يعملان في الإنسان بقُدرة الخالق، وبتصريفه لهما[2]. فضلًا عمّا فيهما من استدلالٍ وتذكير بأنفعِ صُنعٍ وأدَقّه؛ لأنَّهما مِن صُنع المَلِك سبحانَه.

(1) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 10/5910.
(2) الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 6/1000.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»